

التاريخ في سير أبطال

ابراهيم لنكولن

هزيمة الأصرار الى عالم المربية

للاستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في نسقها
الأعلى من سيرة هذا العصا العظيم ...

- ١٢ -

وحدث أن كان مولد الحزب الجديد في نفس العام الذي كانت تختار البلاد فيه رئيساً جديداً للولايات ، فكان النشاط السياسي بذلك مضاعفاً ؛ وأحس الناس جميعاً أن مسألة المييد قد أصبحت القطب الذي يدور عليه هذا النشاط السياسي فألقوا بالهم إليها على نحو لم تسلف بمثله فترة في تاريخ البلاد

وعرف الحزب الجديد كما أسلفنا باسم الحزب الجمهوري ؛ ولقد أخذ الداعون إلى إنشائه ينشرون الدعوة له في كل ولاية ؛ وكان أول اجتماع أهل لهذا الحزب عام ١٨٥٦ في مدينة فيلادلفيا ؛ أما عن مذهب الحزب فقد اجتمع أيضاً مرة أول الأمر على فكرة نجعلها في العمل على مقاومة انتشار المييد كما جاء في اتفاقية مسوري ؛ وكان هؤلاء الأنصار في الولايات أخلاطاً من الأحزاب الأخرى تراءى وإن انفقوا على المذهب أو كادوا ، لا يزالون مختلفين في الوسيلة

ولم تك الينوس تلك الولاية التي ينتمى لنكولن إليها بدءاً من الولايات . ولقد دعا أنصار الحزب الجديد فيها إلى اجتماع تمهيدى بتدارسون فيه الأمر ومحددون الناية ويسددون الوسيلة ؛ وانعقد هذا الاجتماع في مدينة ديكاتور وشهد لنكولن فيمن شهد من رجال السياسة المبرزين ؛ وأدلى إليهم بما يرى ، وفطن المجتمعون إلى سياسته التي لن يتحول عنها والتي تلخص في أمرين : مقاومة انتشار المييد والحفاظة على كيان الاتحاد ...

ولكن لنكولن لا يزال من الوجهة الرسمية من رجال حزب

١٠٠٥٥

الموجز ، فهو لم يعلن انفصاله عنهم بعد ؛ فلما كان يومئذ في طواف قضائي وقد دعا أنصار الحزب الجديد في الينوس إلى مؤتمر عام يعقد في مدينة بلومنجتون ؛ ووضع مديقه هيرندن اسمه في الداعين إلى المؤتمر دون أن يرجع إليه ؛ فجاء البرق بموافقة وبذلك أصبح ابراهيم عضواً في الحزب الجديد

واحتشد رجال هذا الحزب في بلومنجتون لينظروا ماذا يرون ؛ وتطلعت أنظار المؤتمرين إلى لنكولن وفي روع كل منهم أنه رجل الساعة وأنه ابن بجدتها ؛ وبدأ فقال لمن حوله : « دعونا نجعل حجر الزاوية في بناء حزبنا الجديد إعلان الاستقلال » وهو يريد بإعلان الاستقلال ذلك الحادث التاريخي الذي ظهرت به الولايات المتحدة كأمة مستقلة في هذا العالم ؛ وكأنه يشير إلى ما يتضمن الاستقلال من معاني الوحدة والأخاء والحرية والمساواة ، تلك المبادئ التي جعلها رجال الثورة شعار ثورتهم ... وأصدر المؤتمرون قرارهم فقالوا : « أجمعنا أمرنا على أننا نعتقد وفق آراء وتجارب جميع رجال السياسة المبرزين من كافة الأحزاب في السنوات الستين الأولى للحكومة ، أن المؤتمر في ظل الدستور يملك السلطة الثامنة ليوقف انتشار المييد في الولايات ؛ وأنه كما سيحرص على كافة الحقوق الدستورية لأهل الجنوب ، نعتقد أيضاً أن العدالة والإنسانية ومبادئ الحرية كما نص عليها في إعلان استقلالنا وفي دستورنا القومي وما تنوخواه لحكومتنا من نقاء ودوام ؛ كل أوائك يستدعي أن يكون تنفيذ السلطة بحيث يمنع انتشار المييد في الولايات التي تمد حرة حتى الآن »

وإننا نرى سياسة لنكولن واضحة تمام الوضوح في هذا القرار الذي أعلنه المؤتمرون ؛ وفي ذلك الدليل على أنه كان غداة المؤتمر الرجل الذي ينبض بمبادئه كل قلب ويتحرك باسمه كل لسان ؛ ونحن إذا نظرنا إلى مبادئ الحزب الوليد في جميع الولايات نجدها لا تختلف كثيراً عما جاء في قرار رجال الينوس ، وبعبارة أخرى نجدها لا تختلف كثيراً عما يرى لنكولن ، وفي ذلك دليل آخر على عبقرية الرجل وعلى أصالته ...

ونظر ابراهيم إلى المؤتمر فإذا رجاله على اتحادهم في الناية ، يختلفون في الوسيلة التي تتحقق لهم بها تلك الناية وأذاهم باعتبار ما سلف ، فثبات متباينة آراؤها ؛ وإنه ليخشى الخلف في الوسيلة

إلى ضياع النايه ، بل إلى طمس سوى الطريق وركوب الظلام وفي ذلك سوء النقلب ؛ وإنه ليتحرق شوقاً أن يرى هؤلاء القوم وقد اجتمعت على الوسيلة كلمهم كما اجتمعت على النايه ؛ إنهم إذاً لغافلون ، وإن لهم بذلك لباساً يهون كل أمر عسير ، ثم إنهم لخطب قاذح لا يطيقه المتمسكون بالعبيد من أهل الجنوب

وكأنما أحس المجتمعون بما أحس ، وإلا فإذا دعاهم أن يهتفوا به ؛ لقد تجاوزت باسمه جنبات المجتمع ، فراح الرجال يتصايحون لنكولن ... لنكولن ... نريد أن نسمع لنكولن ! وما كان له أن يتخلف وهو الخطيب الذي تهيب به مثل هاتيك المواقف وتواتيه عبقريته كلما أحست نفسه جلال الحادثات ؛ لذلك ما لبث أن وثب من مكانه ووقف فيهم وقفة الخطيب وهو لا يدري ماذا يقول . وسكنت الأصوات بمد جلبة ، واستقر الرجال بعد أن كان بعضهم من فرط السرور والحماة يمجج في بعض ...

وقف الخطيب أول الأمر صامتاً كأنما أغلقت من دونه مسالك القول ؛ والناس يتظرون إلى قوامه السمهرى وقد مال برأسه إلى الخلف وبرز ب صدره إلى الأمام ، وانتمت عيناه وتشكلت أساريره فبدت في مظهر يقصر عن وضعه معنى الجمال . وصفه أحد الحاضرين فقال : « كان في تلك اللحظة أوجه من رأت عيناي أبداً »

وتكلم فإذا السمعون كأنهم رجل واحد ، لا فرق بينه ولا اختلاف ، وقد سرت إليهم من الخطيب موجة قوية من السحر ؛ وصرى إليه منهم تيار شديد من الحماسة ؛ وهو يرسل فيهم القول يجمع بين العاطفة تهز الشاعر ، والحجة تنهر العقول ، والأمثلة تهيج النفوس ؛ وكانت تشتد العاطفة حيناً فتفيض عيون ، ويلتحم الدليل آونة فتصفق الألف وتنتقل بالهتاف الحناجر ، ويروق المثال أو تملح النكتة بين هذا وذاك فتجأجل الأفواه بالضحكات .. والخطيب يلعب بالأفئدة ويسهوى الشاعر ويستمر لا يفتر حماسه ، ولا بكل منطق ، ولا بضعف صوته ، والسامعون ماخوذون عن أنفسهم بما يقول حتى لقد أتى مندوب الصحف أقلامهم وأقبلوا بمقولهم وقلوبهم عليه يحرسون ألا تفوسهم كلمة من هذا السحر الحلال ...

ذلك ابن الناب قاطع الأخشاب ؛ ذلك هدية الاحراج إلى

عالم المدنية ؛ كأنما قد هيأته الأقدار لرسالته فبمته من موطنه قويا قوة الطبيعة وانحما كالشمس لا يحجبها غيم ، ولكن أودعت في نفسه سرأ عميقاً تحس لديه بما تحس به إذا وقفت في مدخل النايه أوضح في خطابه سياسته فلم يترك مجالاً للبس أو شك ؛ وكان إلى التحذير والانذار أقرب منه إلى التفاؤل والتمنى ؛ حذر الناس أن يشتطوا فيؤدى شططهم إلى انسحاب أهل الجنوب من الاتحاد فانه ليحس في الجو ما يسبق الماصفة ، وأذهرم أن — يتهاونوا أو يتخاذلوا فتذهب ربحهم وتضيع أصواتهم ببداء ؛ وهو في كل ما يزجي من القول صريح كأعظم ما تكون الصراحة ، واضح كأنهم ما يكون الوضع

تعرض لسألة كنساس فقال في قوة اليقين وفي جلال الحق ؛ ستكون كنساس حرة ؛ وأردف فذكر السامعين أن الخروج على اتفاقية مسورى والسباح بانتشار العبيد وراء الحد الفاصل مؤد حتماً إلى جمل مسألة العبيد مسألة قومية عامة ، ولذلك فانه للفوز أبداً أو الهزيمة أبداً ، فانه ليشعر بتزايد قوى المتمسكين بمبدأ انتشار العبيد بينما يتراخي الداعون إلى مقاومة تياره . وكان في خطابه يدومنه — ما يدوم من رجل مقبل على موقف حاسم في تاريخ حياته ، ففي نبراته رنة الاخلاص ، وفي مقاطعه وابتداءاته لهجة اليقين وبينات الحرص الشديد أن يتدبر كلامه المنصتون ، وعلى وجهه علامات الاهتمام حيناً وأمارات القلق حيناً ونغائيل الحذر والخوف واللغة أحياناً ، وكذلك العظيم إذا تكلم كان كلامه من وجدانه ومن لبه ، وكانت حركاته حركات جوارحه وخفقات قلبه

ولقد تنبأ ذلك الرجل العظيم فذكر للناس أن مسألة العبيد سوف لا تحل حتى تنتهي إلى أزمة تجتاز بفضل إرادة الأمة ، فان تلك الإرادة متى أوقظت اجتاحت الصعاب ؛ وكأنه كان — يرى ما سيحدث عما قريب في صورة حرب أهلية ضروس

وانجلت المعركة الانتخابية عن فوز ييوكانون مرشح الحزب الديمقراطي ، ولقد ظهر فيها على منافسيه أحدهما مرشح الحزب الجديد ، والاخر مرشح حزب آخر كان يعرف بالحايد ، ويضم عدداً كبيراً من الهوجز ، ولكن نجاح الحزب الديمقراطي كان ينطوي على معنى الضعف ، فان تلك أصواته انضمت إلى الحزب الجديد كما أن هذا الحزب قد نال على حدائته عدداً من الأصوات

من محاكم البلاد كما يفعل الرجل الأبيض ، وأنه ليس للمؤتمروا
لأى مجلس من مجالس الولايات أى سلطة تخوله أن يمنع أى شخص
أن يعود ببيده من الولايات الحرة إلى ولايات العبيد . . .

ولقد هز هذا الحكم البلاد هزاً عنيفاً ؛ واستقبله أهل الجنوب
طريين بطفرون من الفرح ، أما أهل الشمال فكان في نفوسهم غمة
وفي حلوهم شجى ؛ ذلك أنهم رأوه يحمل اتفاق مسورى اتفاقاً
غير دستورى ، كما رآه يقضى على قرار نبراسكا الذى يجعل لمجلس
الولاية الحق في تقرير ما يريد في مسألة العبيد ؛ وبه أصبح العبد
كقطعة من الأدوات ليس له حتى في نفسه أى حق أو شبه حق
وكان خطر هذا الحكم أنه صادر في تلك المسألة التي تشغل
الأذهان من المحكمة العليا للبلاد ، وأن صدوره جاء في تلك
الآونة التي كان الخلاف فيها على أشده بين الناس ؛ وسرعان
ما انتشر بين الطبقات صغرها وكبيرها ، وانشغل به الساسة عن
كل أمر سواه فلا حديث لهم أينا تلاقوا إلا ما يحمل من المأني ؛
أدرك الجميع أن قد أزفت الآزفة واقرب اليوم الذى يحتكم فيه
الفرقان إلى السيف ؛ وأيقن لتكولن أن الحوادث تؤيد ما ارتأى
ولعله كان يحس بينه وبين نفسه أن قد اقتربت الساعة التي يتناول
فيها ممولا لا يقطع به الأخشاب كما كان يفعل من قبل بل ليهوى
به على ذلك النظام البغيض فيضربه الضربة الحاسمة . . .
« يتبع »

أطلبوا مؤلفات

محمود تيمور

وهي : الحاج شلبي . الاطلاع . أبو على
عامل أرتست . الشيخ عفا الله . الوثبة
الأولى . قلب غانية . نشو القصة وتطورها
من جميع مكاتب القطر المهمة
كتاب « فرعون الصغير وقصص أمري »
يظهر في نهاية العام

بلى في مقداره عدد أسوات الحزب الفائر ، حتى لقد اعتبر
الكثيرون من المفكرين أن الفوز الحقيقي إنما هو للجمهوريين
ولقد انضم إلى هذا الحزب الوليد كثير من أهل الثقافة
وأولى الأبصار ، فكان من رجاله في مجلس الشيوخ نفر من
الأمائل الذين أشربت قلوبهم حب بلادهم والذين فطرت نفوسهم
على العدالة وجبيلت على الرحمة والانسانية ، والذين كانوا يمتنون
نظام العبيد من أعماق وجدانهم إذ يرونه نظاماً لا يراهم ما ينشدونه
لوطنهم من نهوض وقوة . . .

وبدرت يومئذ في البلاد بواذر الطلعة الكبرى فلقد نلاحقت
الأحداث وجرت الشائعات بالسوء وانبعثت الأحن والحزازات
وتنايذ الناس وتباغوا وأصبح بأسهم بينهم شديداً ؛ فها هي إلا
رجفة ثم ينفجر البركان ويترزل البنيان . . .

وكانت أولى تلك الأحداث ما كان في مجلس الشيوخ فلقد
كان في المجلس رجل يدعى سمتر عرف بقوة الجنان وذلاقة اللسان
وتوقد الفريجة ، وهو ممن يكرهون أشد الكراهية نظام العبيد ،
حمل في جرأة وقوة على قرار نبراسكا ، وأهاب بالناس أن يتمسكوا
باتفاق مسورى . ولقد كانت لهجته لازمة وحججه قاطعة وعباراته
مقذعة ؛ فلما كان ذات يوم بعدها جالسا إلى مكتبه في المجلس
يكتب في سكون هجم عليه عضو من أهل الجنوب فضربه
على أم رأسه بمصا غليظة فسقط على الأرض مغشيا عليه ،
فكانت الضربة في الواقع أولى ضربات الحرب الأهلية ، فأهل
الجنوب بدل أن يستنكروا هذه القملة هزلوا لها واعتبروا صاحبها
بطلا جديراً بالتوقيف . وقدم له جماعة من الطلبة عصا ذات
رأس من الذهب ؛ أما أهل الشمال فلك أن تتصور مقدار ما بلغتته
النملة من نفوسهم وما تركته من النيط في صدورهم فذلك مالا
ينهض لتصويره كلام

وحدث بعد ذلك حادث آخر جرح البلاد من أركانها ، وذلك
أن أحد العبيد ، رحل مع سيده إلى ولاية من الولايات الشمالية
الغربية ، وكانت أسرة ذلك العبد معه ، وكان عبداً ذكياً له حظ من
من التعليم أدرك أنه وراء الحد الفاصل بين ولايات العبيد والولايات
الحرة ، فرجع أمره إلى القضاء يطلب أن يتمتع هو وأسرته بالحرية
ما دامو في ولاية حرة ؛ وانتقلت القضية من محكمة إلى محكمة حتى
استقرت في المحكمة العليا في واشنطن ؛ وأصدر القاضي الأعلى
حكمه ، فقضى بأنه ما كان لأى عبد زنجى أن يرفع قضية أمام محكمة